رسالة متوفى

بقلم: ابو المعاطى ابو النجا

فى تلك الليلة كان « سمير مصمما على أن يكتب هذه الرسالة جلس الى مكتبه ، أخرج ورقة متوسطة الحجم ، ثم طلب من زوجته أن تسرع له بقدح القهوة ، وأشعل سيجارة راح يتأمل دخانها وهو يتلاشى ببطء فى جو الحجرة الراكد ٠٠ !

وقعت عيناه على مجلة « الفكر » التى أحضرها اليوم فقط دون أن يفتح غلافها ، فكر أن يتسلى بتصفحها الى أن يفرغ من قهوته ولكنه قاوم تلك الرغبة بعناد ، ففى مرات كثيرة سابقة اعتزم كتابة هذه الرسالة ، وكان يبدأ عادة بتصفح كتاب أو مجلة ثم تنتهى الليلة مع الكتاب أو المجلة ، ثم يرجىء الرسالة الى الغد ٠٠ ! ولكنه مصمم على ألا يفعل شيئا فى هذه الليلة قبل أن ينتهى من كتابة تلك الرسالة ٠٠ ! انه لا يصدق أنه يحاول منذ خمسة أعوام أن يكتب تلك الرسالة ٠٠٠ ومع ذلك فهذه هى الحقيقة ، ولكنها ليست الحقيقة كاملة ، فالرسالة التى سيكتبها الليلة تختلف تماما عن تلك التى كان يحاول كتابتها منذ خمسة أعوام لن تزيد رسالة الليلة عن سطور قليلة ، فهذا ما قرره أخيرا ليضمن أن يفرغ من كتابتها الليلة ٠٠٠ أما الرسالة القديمة فقد كان يعد لها خمس صفحات على الأقل ٠٠٠ كان يريد خلالها أن يسأل نفسه وصديقه أيضا ٠٠٠ كيف أمكن أن يحدث هذا الشىء الفظيع ؟ كيف مضى عام كامل دون أن يتبادلا رسالة واحدة ؟؟ مع أنهما ظلا طوال سنى الدراسة الثانوية والجامعية لا يفترقان !! كان يريد أن يبرر موقفه، وأن يعاتب صديقه لأنه لم يكتب له أيضا ٠٠! وقتها كان يميل الى أن يلتمس لصديقه عذرا ٠٠٠ فقد كان هو أحسن حظا منه حيث أتيح له بعد تخرجه أن يجد عملا فى احدى الصحف اليومية ، بينما عمل صديقه فى مدينة « س » !!

لا يزال يذكر هذا اليوم !! كانا متفانين رغم ما أحسا به من مرارة لأنهما سيفترقان ٠٠٠ ومع ذلك فلم يسمح واحد منهما لهذا الشعور بالمرارة أن يظهر فى حديثه أو حتى فى ملامحه

وكان فى اعترافهما بتلك المرارة اعتراف بالخوف على صداقتهما واعتراف

بضعفها فى نفس الوقت ... ! لقد صمدت خلال أعوام طويلة لكل ما يمكن أن يحدث فى حياة شابين يجتازان مرحلة المراهقة الى الشباب ... كانا يتنافسان على كل شىء على الفوز فى المسابقات الأدبية ، وعلى الفوز باحدى الزميلات وعلى الفوز بحب الأدباء الكبار اللذين كانا يقرآن لهم .. ! وكانا يصطدمان ، ويتخاصمان ، ويبكيان أحيانا بالدموع ، وفى النهاية كان كل شىء يذهب ... وتبقى صداقتهما .. ! كان يربط بينهما شعور خفى بأنهما وحدهما متفوقان على كل من عداهما من الزملاء ، بحيث لم يجد أحدهما فى غير الآخر ندا لصداقته وكان هذا الشعور الغامض بأن أحدهما لن يفهمه غير صاحبه يدفعهما أحيانا لكى يتصارحا بتلك المشاعر المعقدة التى يمكن أن يحس بها أى صديقين حيال بعضهما ، والتى يحرصان فى نفس الوقت على اخفائها! يندفعان الى ذلك تحت وطأة ذلك الاحساس الغريب بالتفوق ، وكأنهما يتحدثان عن شخصين آخرين لا يمتان لهما بأية صلة ، وكما يتحدثان عن شخصيات الروايات .. ! وكان شعارهما فى تلك المرحلة ، تعبر عنه تلك العبارة التى يرددانها أحيانا بنبرة ثقة واعتداد « يبدو أن الناس جميعا يتآمرون ضدنا بطريقة ما لكى نبقى أصدقاء الى الابد فهم لا يفعلون أكثر من أنهم يجعلوننى اكتشف دائما كيف أنك أفضل منهم » .

وحين افترقا ... لم يدر بخلدهما للحظة أنهما يمران بلحظة حاسمة فى حياتهما فبعد أسابيع قليلة كتب « سمير » أول رسالة الى صديقه « هـ »

حاول خلالها أن يقنع نفسه وصديقه بأن شيئا فى حياتهما لم يتغير لم يشر بكلمة واحدة الى أنهما بعيدان عن بعضهما ... كان يثرثر معه فى بساطة وحول أشياء عادية كتلك التى كانا يتحدثان عنها حين يلتقيان فى البيت أو المقهى .. ! وجاء رد صديقه « هـ » بنفس اللهجة والاسلوب ، وبدا كأنه مقتنع تماما بأنه لم يفترق عن صديقه ، ثم انقطعت الرسائل ... هكذا دون مقدمات .. !

فى البداية لم ينزعج « سمير » لذلك ... كانت حياته الجديدة قد بدأت تشغله ... وتملأ كل دقيقة بالعمل والأصدقاء والمواعيد وفى الليل يتلقفه الفراش جثة هامدة ، ودائما ... فى نهاية كل سهرة ... كانت الجثة الهامدة تتذكر « هـ » !

وكان يفكر أنه يجب أن يكون عمليا حتى فى صداقته مع « هـ » كان يريد أن يدعم مركزه فى الحياة الادبية ليقف على قدميه أولا ، ثم يمد يده الى صديقه ... فهذا هو ما يحتاجه « هـ » حقا وليس مجرد خطاب يثرثر فيه عن أى شىء !!

ولم يفكر مرة واحدة فى الوقت الذى يمكن أن يحتاجه لكى يدعم موقفه فى الحياة الادبية ... ويبدو كما لو أنه خدع فى طبيعة هذا الوقت ، أو على الأقل فى فهم تلك العبارة الغامضة « تدعيم موقفه » فمتى يشعر شخص ما بأن موقفه أصبح مدعما فى أمر من الأمور ؟؟

وفى الحقيقة أن أهم ما اكتشفه سمير مع الوقت كان هو سخافة أفكار كثيرة

كان يؤمن بها ، بدأ يدرك سخافة تلك الفكرة القديمة عن امتيازه وتفوقه، فقد رأى أنه لا توجد فى ذهن الناس صورة واحدة لمعنى الامتياز !!

وانه مهما تكن تلك الصورة فمن المهم جدا أن يقتنع الآخرون بذلك قبل أن يقتنع هو به ... ! وأن فكرة الصديق الواحد بدت هى الاخرى أكثر سذاجة وسخفا ، وأن عليه لكى يدعم موقفه ، أن يعرف أناسا كثيرين ، وأنه يمكن أن يكون بالنسبة لبعضهم نصف صديق أو أقل أو أكثر ، وأن هذا ضرورى جدا اذا ما أراد أن يصنع شيئا لنفسه أو لصديقه .. !

وذات ليلة اكتشفت الجثة الهامدة ـ وهى تلقى بنظرة على نتيجة الحائط ـ أنه قد مضى عام كامل على آخر رسالة تلقاها من صديقه « هـ » ... فى تلك الليلة لم تنم الجثة ، وأيضا لم تنجح فى كتابة رسالة الى « هـ » ... ليلتها فكر « سمير » أنه يجب أن يصارح صديقه فى رسالة طويلة بكل التغيرات التى حدثت فى أفكاره ولكنه ـ ولأول مرة ـ وجد نفسه يخشى مصارحته !

بالتأكيد أن فى هذه المصارحة ما يمكن أن يمس شعور صديقه وكبرياءه ، وهو هناك وحيد وبعيد فى مدينة « س » !!

ولأول مرة أحس بالأسى من أجل صديقه ... ولكنه فكر أنه لا بد أن يكتب له ، وأن يكون رقيقا ولبقا ، بحيث يوضح له أن هذه القطيعة لم تكن أبدا بين قلبيهما ، وأن يعاتبه بقسوة أيضا على عدم كتابته ، حتى لا يدعه يحس لحظة واحدة بطعم الأسى فى خطابه ، ولكن كتابة مثل هذه الرسالة تحتاج وقتا لا يكون فيه سمير مجرد جثة .. ! وقتا طويلا وهادئا ينتزعه من العمل والأصدقاء والمواعيد !

فى تلك اللحظة دخلت زوجته تحمل قدح القهوة ، وألقت نظرة على الأوراق التى أمامه .

ـ ماذا ستكتب ؟

ـ رسالة .

ـ والقصة المطلوبة بعد غد .. !

ـ سأكتبها غدا .

ـ يوم واحد لا يكفى .

ـ سأبدأ فيها بعد كتابة الرسالة..!

وخرجت « عايدة » ، واختفى خلف الباب الذى أغلقته « الروب » الأنيق الذى يلف جسدها بباقات من الورد بدت وكأنها تتفتح على جسدها النضير ... الغريب أنه فى صباح تلك الليلة التى قرر فيها أن يكتب رسالة طويلة لصديقه اكتشف وجود « عايدة » التى كانت تعمل معه فى نفس الصحيفة ، والتى كان يراها كل يوم ويتحدث معها ، ويردد مع زملائه أنها صاحبة أجمل عينين ... اكتشف فى هذا الصباح معنى جديدا لوجودها .. لقد قالت له ...

ـ لم تحضر منذ يومين .

ـ كنت متعبا ، انفلونزا خفيفة ، الجو متقلب هذه الأيام ابتسمت عايدة ولمعت عيناها وهى تقول :

ـ أنت الوحيد الذى بدأت تصيف هنا ... كنت ترتدى القميص طوال الاسبوع الماضى ، وجئت هنا مرتين فى الليل بنفس القميص .. !

ـ هذا صحيح ... لو كانت أمى تعيش معى ما تركتنى أفعل ذلك !

ـ تعيش وحدك اذن ؟

ـ وحدى بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .. !

بعد هذه الكلمات لم يعد « سمير » يشعر بأنه وحيد ، ولم تعد « عايدة » مجـــرد زميلة يراهـــا كل يوم .. ! أصبحت كل شىء فى حياته ، كيف لم يحس قبل هذه اللحظة بأنها كانت تهتم به ؟ وبأنه يحمل لها فى قلبـــه ـ دون أن يدرى ـ كل هذا الحب ...

ودون أن يدرى أيضـــا ، وجد كل شىء فى حيـاته يستهدف عايدة ... العمل والنجاح ... وحتى الرسـالة الطويلة التى أراد أن يكتبها لصديقه فكر أن تصبح « عايدة » موضوعهـــا الوحيد وياله من موضـــوع يحمل فى طواياه أرق اعتذار عن هذه القطيعة انه أجمل ألف مرة من ذلك الخطاب الرقيق اللبق الذى كان من الجائز أن يفقـــد فى بعض سطوره شيئا من لباقته فيمس شعور صديقه !!

ولكن قصة حبـــه لعايدة كانت كأى قصة حب فى العالم تخضع لهذا الايقاع الذى يتردد دائما بين السعادة والألم ، وفيهـــا تلك الحيرة العذبة المعذبة التى لا تدع صاحبها يستقر على حال ، والتى تدفع به أحيانا الى أن يتحدث عنها مع أقرب صديق وليس فى رسالة طويلة لصديق بعيد ، لا يدرى مدى استعداده لسماع هذيان انسان يحب ، صـديق لا يرد لهفته بكلمة سريعـة أو حديث طويل .. !

وفكر أنه من الأنسـب أن تتحـول الرسالة الطويلة الى خطاب رقيق يدعوه فيه لحضور حفل زواجه ... وفى هذا الحفل ، وبين الناس وأمام عروسه ، سيذوب كل شىء !!

ولكن حفل زواجه كان عملا اجتماعيا بحتا حددت وقته وطريقته والمدعوين فيه ظروف غريبة لم يخطر بباله يوما أن تظهر فجأة لتتدخل فى شىء كهذا ، وبهذه القوة ، وزاد المشكلة تعقيدا أن احـــدى الصحف نشرت خبر زواجه ، وفكر أن صديقه ربما قرأ الخبر وربما ظن أنه لم يعد له مكان فى حياته وعادت فكرة الرســالة الطـويلة اللبقة تحتـل مكانها فى رأس سمير ، فبعـد الزواج ستهدأ حياته ، سيكون له بيت ، وحين يعود اليـــه لن يكون مجـرد جثـة ، وسيكتب الرســـالة ، وستكتبها معه زوجته ، وسيدعوان «هـ» لزيارة خاصة ... و ...

***

وفتح الباب ودخلت عـــايدة ... وقالت بصوت مضطرب :

ـ « ناهد » حرارتها مرتفعة .. !

ـ كيف ؟

ـ حين نامت كانت طبيعية ، أزحت عنهـــا الغطا ... حاولت أن أعيده وجدت جسدها ملتهبا .

ـ ربما أخذت بردا .. الســـاعة الثامنـة ... يمكنك أن تذهبى بهـــا للدكتور .

ـ ألا تأتى معى ؟

ـ لا بد أن أفرغ من هـذه الرسالة !

ـ كنت أعتقد أنك انتهيت منها !؟

ـ لا أظن أن حالة ناهد تدعو للقلق

... ولكن الأفضل أن تذهبى بها للطبيب .. !

وخرجت عايدة ... وخرج معها فقط ليطمئن على ابنته قبل أن تذهب بها للطبيب .. !

***

وعاد « سمير » ليكتب الرسالة ... حاول أن يغالب القلق الذى بدأ يحس به بعد أن خرجت زوجته ... لقد تخلص من كل شىء فى هذه الليلة ليفرغ من كتابة هذه الرسالة ، تخلص من أصدقائه ومن مواعيده ، ولكن هاهى ابنته ترتفع حرارتها فجأة ... دائما كان هناك شىء يحدث فجأة ، فيدفع بتلك الرسالة الى الغد .. ! الى وقت آخر ، ولكنه لن يسمح لشىء مهما يكن أن يعوقه هذه الليلة .. ! وأشعل سيجارة جديدة راح ينفث دخانها بعصبية هذه المرة .. ! أحيانا كثيرة كانت تعوق هذه الرسالة أشياء صغيرة ليست أبدا مثل مرض ابنته .. ! أشياء لا يستطيع المرء أن يذكرها أمام أحد ـ غير نفسه ـ كمجرد اعتذار ... أشياء مثل زائر يأتى بلا موعد . أو دعوة مفاجئة من صديق للمسرح ، أو سؤال عابر من زوجته يتحول الى ثرثرة ، أو خبر تقع عليه العين فى صحيفة قديمة فيجرنا الى قراءة أشياء لم نكن نهتم أبدا بها .. !

وأحيانا يكون الملل الذى يهبط فجأة فيجمد كل شىء !!

ولكن هذه الأشياء الصغيرة ما ان تقع ... ما ان تصبح جزءا من المكان والوقت حتى تدفع بكل ما عداها الى مكان وزمان آخرين !

أى قوة تكمن فى هذه الاشياء الصغيرة ؟ خلال هذه الاعوام كان يبصر هذه الأشياء ، وهى تنسج فى تتابعها البطىء خيوط حياته وتعطى هذه الحياة لونها وطابعها ومعناها .. ! وخلال هذه الأعوام كانت الأحداث الحقيقية ... الأحداث التى يمكن أن يقولها للناس كاعتذار عن شىء أو سبب لشىء ... هى وحدها التى تبدو كأطواق النجاة . فحين أجرت زوجته جراحة خطيرة وهى حامل فى ابنته « ناهد » ، وحين أصيب هو فى حادث سيارة ، وفى كل مرة سافر فى رحلة صحفية أو أخرج كتابا ... فى كل هذه المرات كانت الرسالة الطويلة تجد مادة خصبة ، وكانت تملأ رأسه فى كل مكان .. فى الأتوبيس وفى الطريق ، فى المستشفى وفى مكان العمل ... ولكن ما يكاد يجلس الى مكتبه حتى يكون هناك شىء مطلوب غدا أو بعد ساعات .. ! شىء وراءه شخص يتكلم ، أو يدق جرس الباب أو جرس التلفون ، شىء يدفع بتلك الرسالة الى الغد ، فصديقه هناك ينتظر وكأنه لن يمل أبدا هذا الانتظار ، وكأنه لم يعد فى حياته سوى أن يقرأ هذه الرسالة ... ليصدق كل كلمة فيها ، ليهدأ ليقتنع .. ! لينتهى كل شىء !! صديقه هناك فى مدينة «س» ولن يقابله مصادفة فى الطريق ليعاتبه .. ! صديقه لم يطرق الباب بعد ، ولم يدق جرس التلفون ، وهو وحده دون كل الأصدقاء يبدو بلا صوت، وبلا ملامح تغضب أو تعتب صديقه يتحول الى فكرة أو أمنية ، ويشحب أحيانا كما تشحب الأفكار والأحلام ويختفى من رأسه فجأة كما تختفى فكرة كانت تطاردنا فى كل لحظة ، ولكن ـ ويحدث ذلك فجأة أيضا ـ يظهر

صديقه وغالبا ما يحدث ذلك فى اللحظات التى يوشك فيها أن يتسلل النوم الى عينيه ... ليقول له ...

« ان رسالتك وصلتنى ولكنى لم أفهم منها كلمة واحدة اننا فى مدينة « س » نتكلم لغة أخرى غير لغتكم وان لى هناك أصدقاء أفهم لغتهم ، وان رسالتك لم تكن تنقصنا » .

فى هذه المرات كان سمير يفكر بأن الرسالة الطويلة لن تجدى وأنها لم تعد أبدا فى مستوى الموقف ..! وأنه اذا كان يريد حقا أن يسترد صديقه فلا بد أن يسافر الى مدينة « س » فى احدى الاجازات، وأن يقابل صديقه ، وفى مثل هذا اللقاء يمكن أن يجدا لغة مشتركة ، وأن يذللا معا الصعاب التى لا يشك لحظة واحدة فى وجودها ..!

وكانت هذه الفكرة تمنح « سمير » راحة نفسية تنتهى عادة مع بداية الاجازة التى يكتشف فى كل مرة أنه لم يكن ينتظرها وحده... فهناك أناس آخرون ينتظرون ، وفى مدن أخرى كثيرة ، هناك أبوه وأمه ... وأسرة زوجته... وشقيقته الوحيدة المتزوجة ، ويعود «سمير» من الاجازة، وتعود فكرة الرسالة الطويلة تحتل مكانها فى رأسه ، ليس هناك من حل آخر ، انها الخيط الوحيد الذى لو ضاع من يده لفقد صديقه الى الأبد ..!

ويصبح لهذه الرسالة دوافع جديدة وغريبة .. لم يعد كل ما يهمه أن يسترد صديقه ..! بل ان عليه أن يكتب الرسالة لكى يسترد احترامه لارادته..! من أجل أن يشعر أنه قادر على أن يفعل شيئا تقف فى وجهه جميع الأشياء ..!

من أجل أن ينقذ نفسه من سؤال لا يدرى كيف انفجر ذات مساء فى رأسه ؟

هكذا دون مقدمات وجد نفسه وجها لوجه أمام هذا السؤال ! هل هو حقا يريد أن يكتب رسالة لصديقه ؟ واذا كان يريد ذلك فلماذا لم يكتبها ... أجل لماذا لم يكتب تلك الرسالة ؟ هكذا كان يأتى السؤال دائما ، وكأنه صادر عن شخص آخر لايعرف شيئا عن ظروفه أو بعبارة أدق لا يعترف بها ..!

وفى تلك اللحظة الغريبة كان كل شىء يبدو له زائفا ولا معنى له ... حياته ... وعلاقاته ... وكل ما يعمل ...!

كان من الممكن لولا مصادفة صغيرة أن يكون هو فى مدينة « س » بدلا من صديقه، وكان يتصور نفسه هناك وحيدا وبعيدا ينتظر تلك الرسالة التى لاتصل أبدا ، ويحس بهذا الانتظار وهو يتحول مع الأيام الى كراهية عميقة لهذه الرسالة، ورفض كامل لكل ما تحمل ، بل ورغبة فى تمزيقها ، وتمزيق أى صلة بالحياة خارج مدينة « س » .. وكان يحس أن مدينة « س » ليست بعيدة عنه بالدرجة التى يتصور ، وانه من الممكن فى أى وقت من حياته أن يصبح من رعاياها ، رغم وجوده فى القاهرة وأنه فى هذا الوقت تصبح مثل هذه الرسالة الشىء الوحيد الذى يجعل المرء قادرا على أن يواصل الحياة ، أجل فالمرء لا يحس أن حياته متصلة، وأنها حياة شخص واحد، الا من خلال شعوره بأن هناك شيئا يمكن أن يبقى دائما رغم كل الظروف ، شيئا نثق فيه ونطمئن اليه ، شيئا لايتغير خلال الزمن ..!

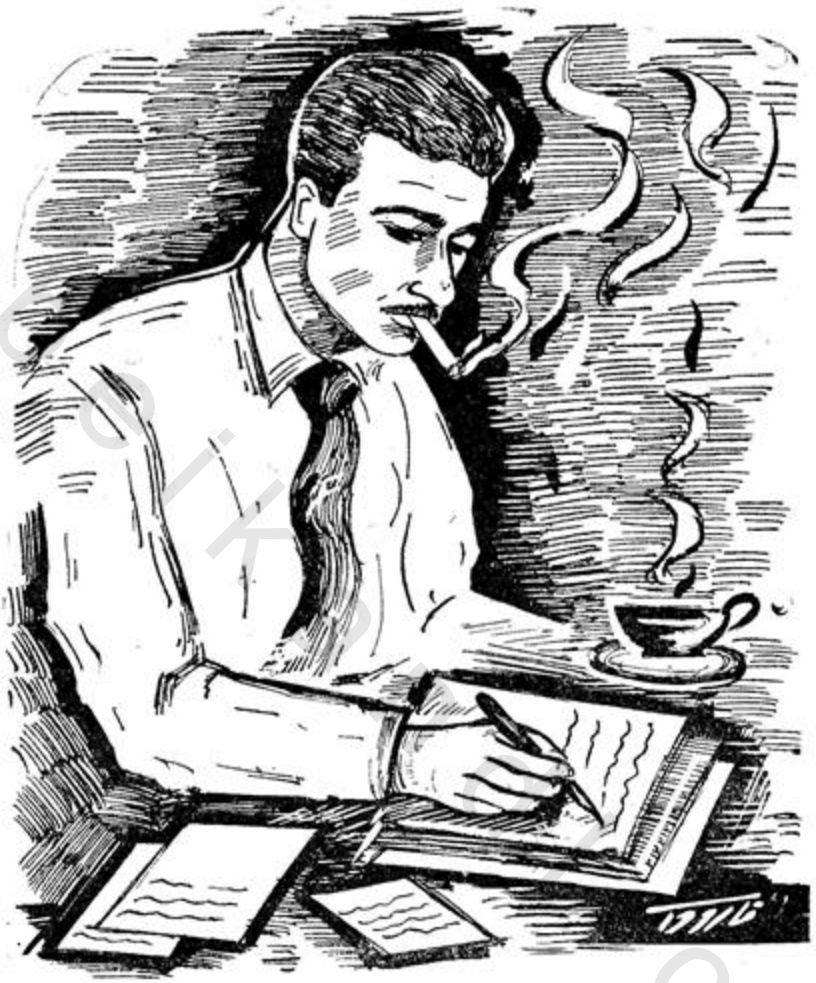

وأمس فقط ، ضاعت الفرصة الوحيدة لكى يصنع باختياره هذا الشيء . !

كان ذلك حين زاره صديقه «رءوف» الذى عاد لتوه من مدينة « س » حيث أقيم بها معرض للكتاب العربى ... قال رءوف :

ـ هل لك أصدقاء فى مدينة س ؟

أجاب سمير وهو يدارى قلقه :

ـ نعم !

قال رءوف :

ـ قابلت هناك مجموعة من الاصدقاء، كان معهم أشخاص لا أعرفهم ... جاءت سيرتك ... تحدثوا عنك بحماس كان بينهم شخص ظل صامتا طول الوقت سألته ...

ـ ألم تقرأ شيئا للأستاذ ؟

أجاب :

ـ جميع كتبه !

ـ لم تقل رأيك فيه ؟!

ـ ماذا يهم رأيى للأستاذ جمهور كبير لن ازيده أو أنقصه ٠!؟

ـ ولكنى مهتم برأيك فهو صديقى وأريد أن أبلغه جميع الآراء فى كتبه ٠!

ـ أنا أيضا كنت يوما صديقه ، فهل ترى هذا شيئا هاما ؟

لم أدر كيف أجيبه ؟ شعرت أن فى الأمر شيئا ٠٠٠ قلت محاولا انهاء الحديث :

ـ هل تريد أن أبلغه أى كلام ؟ قال بنبرة لا مبالية :

ـ سلامى !

***

وجد سمير نفسه بعد سماع هذه القصة يعيش فى دوامة قاسية أصبح معها عاجزا عن أى شيء ٠٠! عاجزا حتى عن الشيء الوحيد الذى يمكن أن ينقذه منها ٠٠! عن كتابة رسالة الى صديقه٠! وفكر فى هذه الليلة أنه من المستحيل أن ينظم أفكاره المضطربة فى رسالة طويلة ، ومع ذلك فلابد أن يصنع شيئا شيئا يسكت به هذا الضجيج الهائل الذى يمزق رأسه ، ولاحت له فكرة الرسالة القصيرة كطوق النجاة٠٠٠المهم أن يكتب أى شيء ! أى سطور ٠٠٠ المهم أن تمتد يد ، أن يتحرك شيء فى هذا الفراغ ، أن تنبض كلمة أى كلمة ٠٠٠ ربما لو فكر منذ سنين أن يكتب رسالة قصيرة لكتب عشرات الرسائل ٠٠٠ ولما وجد نفسه يواجههذا الموقف الصعب٠٠ سيعتقد صديقه « هـ » ان هذه الرسالة ما كانت لتصله أبدا لو لم يحدث هذا اللقاء الغريب بينه وبين رءوف ٠! ومع ذلك فلا بد من كتابتها٠٠٠ والافسيكون الأمر أكثر فظاعة لو أن هذا اللقاء لم يثمر سوى الصمت ٠!

***

أشعل «سمير» سيجارة جديدة ٠٠٠ كانت علبة سجائره أوشكت النفاد قبل أن يكتب حرفا واحدا ٠٠٠ لا بد أن زوجته ستحضر الآن ٠٠ من الضرورى أن يفرغ من هذه الرسالة قبل أن تصل ٠٠٠ وأمسك بالقلم فى عصبية وراح يكتب :

« عزيزى هـ :

لا أدرى كيف أبدأ هذه الرسالة ؟! وكيف أجعلك تصدق أننى منذ فارقتك ٠٠٠ أعنى منذ أكثر من خمسة أعوام وأنا أحاول أن أكتب اليك خطابا طويلا يوضح كل شيء ٠٠٠ ولم تشهد هذه الأعوام سوى فشلى فى تلك المحاولة ! ولهذا فلا أريد أن أكرر هذا الفشل لأننى حريص على أن يصلك هذا الخطاب بأى ثمن ٠٠٠ سأحاول هذه المرة يا صديقى أن أكتب لك سطورا قليلة ٠»

توقف سمير عند هذا الحد ٠٠٠ أعاد قراءة ما كتب ٠٠٠ لم يسترح لهذه البداية ٠٠٠ كيف يمكن أن يحس بها صديقه ؟ لا بد أن يستمر فى كتابة الرسالة بأى ثمن ! لماذا تبدو الحقيقة صعبة التصديق الى هذا الحد ! ثم عاد يكتب :

« أريد أن أقول لك ٠٠٠ ثق أن كل شيء لم ينته بعد ٠٠٠ لا الوقت ولا صداقتنا ولا الرغبة فى أن ننقذ مايمكن انقاذه ٠٠٠ اننى أمد يدى اليك فلا تتركها معلقة فى الهواء حاول أن تمد يدك ٠٠٠ وثق أنه بين يدينا ستدب الحياة فى أشياء كثيرة » ٠

تنفس « سمير » بارتياح حين كتب هذه السطور ، الدوامة التى تدور فى رأسه تتوقف فجأة ... لو لم يكتب حرفا واحدا بعد هذه السطور لكفى !

أعاد قراءة ما كتب مرة ثانية وثالثة وفى المرة الرابعة وكانت عيناه تتوقفان عند هذه الكلمات ... « ثق أن كل شىء لم ينته بعد ...أن ننقذ ما يمكن انقاذه ... أمد يدى اليك» ألا يمكن أن يكتب كلمات أخرى غير تلك التى يبدو خلالها كمنقذ لا يريد أن يضيع وقته ووقت من يحتاج الى عونه ! وعبثا حاول أن يجد فى رأسه كلمات أخرى ... لم يجد سوى الضجيج الذى عاد يدق رأسه مع أول احساس بالضيق من كلمات الرسالة ...!

وحين دق جرس الباب ، وجد نفسه ينتفض فى فزع وكأنه يريد أن يسكت الدق ...!

فتح الباب ودخلت زوجته :

ـ كيف حال ناهد ؟ ـ وحملها بين ذراعيه ـ ماذا قال الدكتور ؟

ـ اشتباه فى حمى معوية ... قالت زوجته هذه العبارة وهى تضع لفافة الدواءعلى المنضدة :

ـ كم تكلف الدواء ؟

ـ ثلاثة جنيهات !

حمل ناهد الى سريرها قالت زوجته وهى تسوى حولها الغطاء ...

ـ سيتكرر الدواء وسنحتاج الى نقود ... حاول أن تكتب القصة فى موعدها !

***

جلس سمير الى مكتبه ... أشعل السيجارة الأخيرة ... كيف يمكن أن يكتب قصة ورأسه ينتفض كالمحموم ، كيف يستطيع أن يسكت هذا الضجيج ليفكر فى مشكلة وشخصيات تتصارع مع هذه المشكلة ... وأن ينفعل بهذا كله ويكتبه ...! هو الذى يعجز عن أن يغير سطورا فى رسالة صديقه...! وفجأة لمع فى رأسه خاطر بدا له غريبا فى أول الأمر لماذا لايكتب قصة عنوانها «رسالة» ... لن يحتاج الى البحث عن مشكلة أو شخصيات ... ليس أمامه سوى أن يمسك القلم ويكتب ويكتب !

وفكر أنه لو نجح فى كتابة هذه القصة ، فسيستريح دون شك وسيكف هذا الضجيج الذى يمزق رأسه ، ومن المؤكد أنه سيصبح قادرا على أن يكتب لصديقه رسالة حقيقية اذ ليس من المعقول أن تكون هذه السطور السخيفة، هى ما ينتظره صديقه بعد كل هذه السنين ...! لا بأس أن يؤجل الرسالة الى الغد ... لن تتأخر عن الغد بأى حال ، فمن الضرورى أن تصل لصديقه قبل أن تنشر القصة فى نهاية الأسبوع!

***

وفجأة بدت ملامحه وكأنه يشاهد منظرا بشعا للغاية ... وكأنما اختفى المنظر فجأة حينارتخت تلك الملامح بينما ظلت عيناه وحدهما تحدقان فى فراغ الحجرة ، وكان من يراه فى تلك اللحظة يخيل اليه أنه يتابع بعينيه حلقات الدخان المتصاعد من سيجارته التى تحترق وحدها وكأنهيريد أن يعرف أين يذهب هذا الدخان ؟ وكيف يصبح هكذا بعد لحظات وكأنه لا شىء !